العرب
الإثنين 2020/04/06
السنة 42 العدد 11669

المبدعون في الجزائر لا يطلبون الشفقة.. ولكن الحقوق

مثقفون بارزون يعتبرون «مبادرة» وزيرة الثقافة لمساعدتهم «لفتة منقوصة» ومحاولة لذر الرماد في العيون

اعتبر عدد من الفنانين الجزائريين خلال هذا الأسبوع أن إحالتهم إلى مؤسسات الوصاية ومديريات الثقافة للتكفل الشكلي بهم على مستوى المحافظات استمرارا لسيناريو الممارسات المتكررة المخلة بقيمة ومكانة الفنان والمثقف في المجتمع الجزائري. الذي يعاني من نواحي مختلفة.

أزراج عمر
كاتب جزائري

بادرت وزيرة الثقافة الجزائرية الدكتورة مليكة بن دودة في الأيام القليلة الماضية بتكليف ديوان حقوق التأليف للقيام بمساعدة الفنانين الذين تواجههم مشكلات اجتماعية حادة، ويعانون أيضا من الصعوبات المادية في ظل الأزمة الراهنة التي يفاقمها تهديد انتشار وباء كورونا في البلاد.

وفضلا عن ذلك فقد تضمّنت مبادرة وزيرة الثقافة أمرا موجّها إلى ديوان حقوق المؤلف بالإسراع في دفع مستحقات الفنانين الذين تربطهم عقود واتفاقيات رسمية بالمؤسسات المشرفة على إدارة الإنتاج الفني. ولكن يبدو أن الفنانين لا ينظرون إلى مثل هذه التحركات بعين الرضا بل يعتبروها مجرد محاولة لذر الرماد في العيون، قصد تغطية الواقع المرّ الذي يحطم طموحاتهم، ومن أجل تسويف الاستجابة لمطالبهم لإحداث تغيير راديكالي في القطاع الثقافي والفني برمّته في إطار جدول زماني محدّد.

خطوة منقوصة

وصل الأمر بعدد من الفنانين والمثقفين البارزين في الحياة الثقافية والفنية الجزائرية إلى اعتبار سلوك وزارة الثقافة تجاههم فعلا مخلا بكرامتهم. وفي الواقع هناك بعض الفنانين والمثقفين الذين ينظرون إلى إجراء وزيرة الثقافة بأنه لفتة إيجابية، ولكنها في تقديرهم لا ينبغي أن تستخدم كبديل لمعالجة أمراض واقع قطاع الثقافة والفن ومشكلات الفاعلين فيه. إلى جانب ذلك فإن الدكتورة بن دودة التي أتت من قطاع التعليم العالي لا تحيط علما بخبايا وحقائق الأزمة البنيوية التي تنخر هذا القطاع مثل إسناد المسؤوليات الثقافية إلى أشخاص بيروقراطيين لا علاقة لهم بالثقافة والفن، وآفات تهميش المواهب وتحقيرها والتسبب في تهجيرها أو قتل الإبداع في نفوس أصحابها، والإذلال الاجتماعي والمادي للفنانين ومنتجي الثقافة فضلا عن عدم التنظيم المحكم للقطاع الثقافي وعماله.

لا شك أن الفترة القصيرة التي مرّت على وجود الدكتورة بن دودة على رأس وزارة الثقافة لا تكفي في الحقيقة لحصر ثم دراسة تفاصيل المشكلات الكبرى التي يعاني منها قطاع الثقافة والفن الجزائري، كما أن إطارات وزارة الثقافة المساعدين حاليا لا يملكون عوامل الخبرة والكفاءة والاختصاص والمصداقية التي بموجبها يتم إنجاز الإقلاع الحقيقي لهذا القطاع الذي تعرّض للتدمير المنهجي على أيدي الوزراء السابقين وأعوانهم مثل مديري الثقافة ودور الثقافة والنشر والمتاحف والمكتبات الكبرى وهلم جرّا.

> **أزمة معقدة تعصف بمنتجي الثقافة والفن في الجزائر وتتسبب في تدهور البنية الثقافية وأشكال التعبير الثقافي**

من الملاحظ وزيرة الثقافة الدكتورة بن دودة قد شرعت في عقد لقاءات صباحية، مع بعض الوجوه العاملة في ميدان النشر والإعلام الثقافي والمسرح وغيرها بقصد تدارس وتشخيص مشكلات الوضع الثقافي والفني في الجزائر بهدف وضع التصورات والمنظورات الجادة والكفيلة بمعالجتها، ولكن هذه اللقاءات قد تميزت حتى الآن بأنها استشارية غير ملزمة وإخوانية انتقائية جدا ومجرد سبر خارجي لحقائق وضع ثقافي وفني وطني معقّد، وبسبب ذلك بقيت تلك اللقاءات تدور في فضاء جوهر الأزمة المعقدة التي تعصف بمنتجي الثقافة والفن، وتتسبب في تدهور البنية الثقافية في المجتمع الجزائري ومختلف أشكال التعبير الثقافي والفني والمؤسسات الثقافية على مستوى المدن الكبرى وفي الجزائر العميقة في آن واحد.

وفي هذا الخصوص يلاحظ أن استبعاد الخبراء في شأن تسيير وتنظيم قطاع الثقافة والاتحادات والتنظيمات والجمعيات والرموز الثقافية والفنية من هذه الاجتماعات قد ساهم فعليا في عدم التوصل إلى وضع مشروع مخطط وطني متكامل وقابل للتنفيذ ماديا وتأطيرا بشريا يضمن تنفيذ عمليات النهوض بقطاع الثقافة وتحديثه.

وضع متفاقم

في الواقع فإن احتجاج الفنانين خلال هذا الأسبوع على أسلوب الوزارة لتقديم المساعدات للفنانين في هذا الظرف الاستثنائي الصعب تشم منه رائحة تتعارض مع كرامة الفنان والمثقف الجزائري.

ولا شك أن الفنانين والمثقفين الجزائريين ليسوا بحاجة إلى الشفقة بل فهم يطالبون بوضع القوانين الملزمة التي بموجبها تحفظ حقوقهم المادية والأدبية، وتعالج بواسطة تفعيلها المشكلات المزمنة والطارئة التي تعرقل السير الطبيعي للمؤسسات الثقافية والفنية التي تناط بها مسؤولية الإشراف المادي والتقني على الإنتاج السينمائي والمسرحي والموسيقى والفني التشكيلي والأدبي والفكري، فضلا عن دور النشر ومؤسسات الطباعة والإشهار والمكتبات وهلم جرّا.

من الملاحظ أن الأوضاع الاجتماعية للفنانين والأدباء والمثقفين الجزائريين تزداد تفاقما وشراسة مثل ضعف المرتبات وعدم توفر السكن اللائق والتقاعد الذي يحافظ على الكرامة، ونظام التفرّغ والبحث الفني والإبداعي والفكري الذي يوفّر للجميع الإمكانيات المادية اللازمة لإنجاز المشاريع الفنية والأدبية الكبرى، مثل تأليف الكتب أو ترجمة الأعمال المحورية في حقول الفن والفكر والآداب عن اللغات الأجنبية أو من اللغات الوطنية إلى اللغات العالمية، فضلا عن دعم مبادرات الانخراط في فترات التكوين المتواصل في الخارج.

وفي الحقيقة فإن المشهد الثقافي والفني الجزائري مغلق تماما على التيارات الفنية والفكرية والأدبية الطليعية في عالمنا المعاصر، كما أن وزارة الثقافة الجزائرية لا تملك سياسات الإرساليات الفنية والفكرية والأدبية إلى البلدان المتطورة لاستيعاب آدابها وفنونها وفكرها وطرائق والعمل الثقافي والفني، وبسبب هذا بقي المبدع الجزائري مغتربا عن عصره ومبعدا عن التفاعل الخصب مع مستجدات الفن والفكر والثقافة العالمية. ففي هذا المناخ يفرض الفقر والبؤس الاقتصادي والتهميش على الفنانين والمثقفين والأدباء المبدعين الجزائريين في الوقت الذي يفترض أن يدعموا باعتبارهم في طليعة القيادة الروحية لمجتمعاتهم.

وفي الحقيقة هناك أمثلة كثيرة مؤلمة في هذا المجال، ولكننا سنكتفي بالإشارة إلى ثلاثة نماذج معروفة وهي على التوالي الواقع المزري الذي وضعت فيه الفنانة المسرحية الجزائرية المعروفة نضال، التي تعاني مع أسرتها من أزمة السكن القاسية حيث ما فتئ يتلاعب بها المسؤولون، وهناك نموذج الوضع البائس المفروض على الموسيقار نوبلي فاضل، الذي ترك وحده فريسة لمرض الزهايمر، ونموذج المطربة الجزائرية المعروفة فلة عباسة التي عانت وما تزال تحاصر من كل الجهات ماديا وحضورا فنيا.

مثقفون في مصير مجهول (لوحة للفنان محمد إيسياخم)

أيّ ناقد نحتاجه اليوم في ظل التحولات الكبرى؟

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

حين نتمعّنُ في المشهد الأدبي في العالم العربي مشرقا ومغربا، نلاحظ أن هناك غزارة غير مسبوقة في الإنتاج، خصوصا في مجال الرواية التي أصبح يتنافس على كتابتها الشعراء وأساتذة الجامعة وحتى أصحاب الاختصاصات العلمية.

كما نلاحظ أن الجوائز المادية أصبحت تُماثل في مقدارها المادي الجوائز المرموقة في البلدان الغربية الغنية. وهذا أمر محمود. لكن ما غائب هو المتابعة النقدية للأعمال الإبداعية التي تصدر بأعداد وفيرة. وبخلاف المتابعات الصحافية السريعة لهذه الأعمال والتي قد تطغى عليها الإخوانيات والمجاملات والعلاقات المغشوشة، نحن لا نكاد نعثر على نصوص نقدية جادّة وموضوعية كتلك التي تميز بها رموز النهضة الأدبية في منتصف القرن العشرين، والذين كانوا يتابعون بعين فاحصة، وفكر ثاقب كل عمل يستحق الاهتمام والتقدير والتشجيع.

لذلك يجدر بنا أن نطرح السؤال التالي: أي ناقد أدبي نحتاجه اليوم في عالمنا العربي؟

أول مهمة لهذا الناقد إن وجد، هو التعريف بالأعمال الجيدة، واكتشاف أصحاب المواهب المغمورة والمظلومة، والذين قد يكونون ضحية إقصاء مدبر من أولئك الذين يعلمون على أن تكون الإخوانيات والمجاملات هي المتحكمة في الحياة الأدبية، أو قد يكونون ضحية أساتذة جامعيين يتعاملون مع المبدعين وكأنهم طلبة في أقسامهم.

لذلك هم يحاولون بطرق شتّى الاستنقاص من قيمة أعمالهم للمحافظة على شعورهم الزائف بالتفوّق، ناسين أن الإبداع الحقيقي والأصيل لا علاقة له بالشهادات الجامعية مهما علت قيمتها. ولو نحن تمعنا في تاريخ آداب العالم، لوجدنا أن كثيرا من مشاهير الأدباء والشعراء "تخرّجوا" من تجارب الحياة وليس من المدارس والجامعات.

المهمة الثانية هي أن يقوم هذا الناقد الذي نحتاجه راهنا بإقناع القراء الذين قد يكونون ضحية النقد الانطباعي الخاضع للتزييف وللمجاملات بموهبة مبدع يكتب في العزلة والصمت، ولا يتردد على المهرجانات والندوات التي قد تلعب دورا كبيرا في تلميع صورة كتّاب وشعراء بلا موهبة وبلا قيمة، ويجهر بآرائه في مشهد ثقافي يفتقد إلى الموضوعية والصراحة والحرية.

ويجدر بهذا النقد أيضا أن يلعب ذلك الدور الكبير الذي لعبه كبار نقادنا العرب، خصوصا د. طه حسين والمتمثل في إزاحة الغبار عن الأعمال المهملة والمنسية، وأن يقوم بربط الصلة بين أعمال جديدة أو قديمة، ويرصد قيمتها الفنية والأدبية والفكرية، وانعكاسها على الواقع الراهن... بل يمكن لهذا الناقد أيضا أن يُعَرّفَ بأعمال من ثقافات أخرى قد تغني المشهد الإبداعي في العالم العربي، وتغذيه بما يمكن أن يساعد المبدعين العرب على ارتياد آفاق لم يألفوها من قبل.

ويجدر بهذا النقد أيضا أن يقدم قراءة مُعمّقة لأعمال أدبية تستحق الاهتمام، مضيئا مختلف جوانبها بحيث يمكن أن تكون هذه القراءة إشارة لانطلاقة أدبية وإبداعية كما حدث مع أعمال أدباء المهجر في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي إذ ساهمت مختلف القراءات التي أنجزت حولها في إذكاء نيران نهضة أدبية شملت جل البلدان العربية.

ومن المفيد أن تتركز مهمة هذا الناقد الذي نأمل ظهوره وبروزه بالخصوص على إضاءة العلاقة بين الفن والحياة، وبين الفن والعلوم، والاقتصاد، وعلم الجمال، وأيضا بين الفن والدين خصوصا وأننا نعيش راهنا هيمنة الدين على مختلف مجالات الحياة.

لكن علينا أن نقرّ بأن هذا الناقد يحتاج إلى ثقافة موسوعية، وليس فقط إلى شهادة جامعية، أي أنه يكون متقنا للغة أجنبية، أو أكثر من ذلك، ويكون أيضا قادرا على اختراق الحدود بين الثقافات، وبين مختلف العصور.

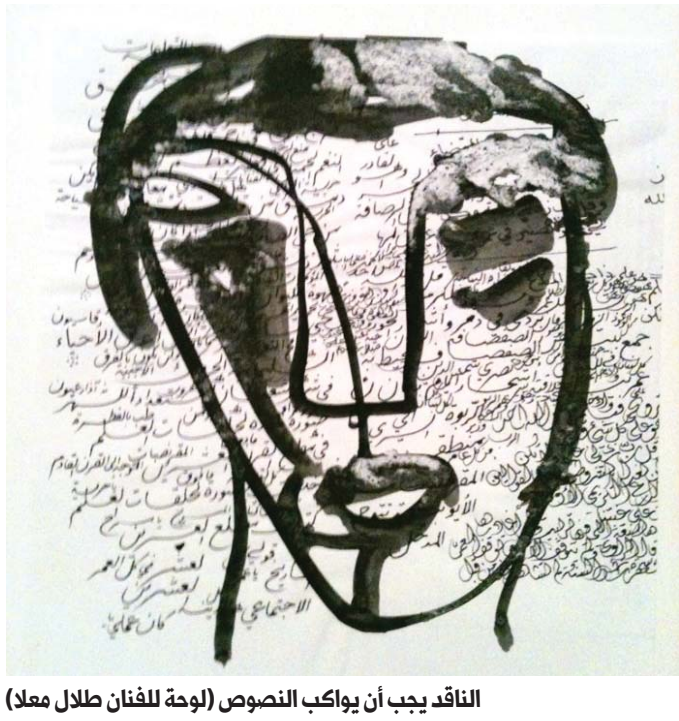

الناقد يجب أن يواكب النصوص (لوحة للفنان طلال معلا)

المكتبة المغربية تفتح منصات إلكترونية للجميع

الرباط – أعلنت المكتبة الوطنية للمملكة المغربية عن تنويع العرض المكتبي وتمكين المنخرطين من الاستفادة من باقات إلكترونية تتضمن الآلاف من الكتب والمجلات والمواد المُرقمنة، والتي ستتيح بالدرجة الأولى للباحثين والطلبة والتلاميذ والمهتمين إمكانية الاطلاع على الكتب والمصادر والمراجع في مختلف المجالات والتخصّصات العلمية خلال فترة الحجر الصحي.

وأوضح بلاغ للمكتبة الوطنية أن هذه المبادرة تندرج ضمن المجهودات المبذولة في إطار التدابير الاحترازية المتخذة على المستوى الوطني للحد من انتشار وباء "كوفيد- 19"، وكذلك حرصا على استمرارية المرفق العمومي وضمان تقديم الخدمات لزوار المكتبة.

وأضاف المصدر ذاته أنه بإشراف من مدير المكتبة الوطنية، تمكّن أطر المؤسسة بتعاون مع مزوّدي الباقات الإلكترونية من وضع مجموعة من المنصات والموارد الرقمية عن بعد وبالمجان لجميع مرتفقيها.

كما أشار البلاغ إلى أن المكتبة خصصت، بالنسبة إلى الراغبين في الاستفادة من هذه الخدمات المجانية، الموقع الإلكتروني للمؤسسة الذي يمكن الولوج إليه عبر الرابط الخاص بها. كما يمكن الاستفادة من هذه الخدمات عبر استعمال صفحة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالفيسبوك.

كما تقترح المكتبة الوطنية المغربية، خلال هذه الفترة من الحجر الصحي، طائفة من الكتب الصوتية يمكن الولوج إليها عبر موقعها على الإنترنت. وتتضمن هذه المجموعة المختارة من الكتب أعمالا لمجموعة من المؤلفين الكبار ممن خلّدوا أعمالا أثرت الأدب العربي، بما فيهم الجاحظ (البخلاء)، وابن المقفع (كليلة ودمنة)، وابن خلدون (المقدمة)، وطه حسين (الأيام)، ونجيب محفوظ (خان الخليلي).

وتتيح المكتبة أيضا أعمالا لمؤلفين فرنسيين أو مترجمة إلى الفرنسية.

بالإضافة إلى ذلك، تتيح المكتبة الوطنية قائمة منتقاة من الروابط التي تحتوي على كتب صوتية، وكتب في صيغة إلكترونية موجهة لتطوير الإبداع والخيال لدى الأطفال.

وتوفر هذه الروابط الآلاف من القصص للأطفال، والتي يمكن مطالعتها عبر الإنترنت أو تنزيلها بالعديد من اللغات.

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
Bibliothèque Nationale du Royaume du Maroc
المكتبة تتيح قائمة من الروابط التي تحتوي على كتب صوتية وأخرى في صيغة إلكترونية لكل الشرائح